نظرية التلقي بين الاستجابة والتأثير

د. بن الدين بخولة
جامعة الشلف –الجزائر

الملخص:

لم تنشأ نظرية التلقي من فراغ، وإنما استمدت أصولها النظرية من الفلسفة الظاهراتية وأصبح المنظور الذاتي هو المنطلق في التحديد الموضوعي، ولا سبيل إلى الإدراك والتصور الموضوعي خارج نطاق الذات المدركة، ولا وجود للظاهرة خارج الذات المدركة لها.فهي تسعى في مجمل أهدافها إلى إشراك واسع وفعلي للمتلقي بغية تطوير ذوقه الجمالي من خلال التواصل الحثيث مع النصوص الفنية، حيث ترى نظرية التلقي أن أهم شيء في عملية الأدب هي تلك المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع والقارئ المتلقي ، أي يتحقق بصريا وذهنيا عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله .ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص واستكناه دلالاته انطلاقا من تجربة القارئ الخيالية والواقعية. ويجعل التأويل من القراءة فعلا حدثيا نسبيا لا يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة أو الوحيدة المتعالية عن الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية:النص؛ التلقي؛ الاستجابة؛التأثير؛ التأويل؛ الانتاج؛ نظرية التلقي

sommaire

La théorie de la réception ne dérive pas d'un vide mais tire ses origines théoriques de la philosophie phénoménologique: la perspective de soi devient le point de départ de la définition objective, la perception objective et la perception en dehors du moi conscient et le phénomène en dehors du moi conscient. Elle vise les objectifs généraux d'impliquer un large et efficace pour le bénéficiaire afin de développer son

esthétique du goût en communiquant activement avec des textes techniques, où vous voyez la théorie de la réception que la chose la plus importante dans le processus de la littérature est la participation active entre le texte écrit par le destinataire du créateur et le lecteur, ce qui est réalisé visuellement et mentalement accueillant Texte, compréhension et interprétation. L'interprétation joue un rôle important pour dessiner l'image du sens imaginé en explorant le texte et en acquérant ses significations basées sur l'expérience imaginaire et réaliste du lecteur. Et fait que l'interprétation de la lecture du fait relativement historique ne prétend pas posséder la vérité absolue ou la transcendance transcendante du temps et de l'espace. Elle vise les objectifs généraux d'impliquer un large et efficace pour le bénéficiaire afin de développer son esthétique du goût en communiquant activement avec des textes techniques, où vous voyez la théorie de la réception que la chose la plus importante dans le processus de la littérature est la participation active entre le texte écrit par le destinataire du créateur et le lecteur, ce qui est réalisé visuellement et mentalement accueillant Texte, compréhension et interprétation. L'interprétation joue un rôle important pour dessiner l'image du sens imaginé en explorant le texte et en acquérant ses significations basées sur l'expérience imaginaire et réaliste du lecteur. Et fait que l'interprétation de la lecture du fait relativement historique ne prétend pas posséder la vérité absolue ou la transcendance transcendante du temps et de l'espace.

البحث

تُمثل إشكالية العلاقة القائمة بين نظرية التلقي والمدارس النقدية الغربية منعطفا حاسما في تحليل عمليات القراءة وآليات التلقي وإمكانات التأويل ليتم بعد ذلك إلقاء الضوء بصفة أساسية على جماليات التلقي أو طبيعة الاتصال والإيصال لوضع العملية الأدبية في دائرة التواصل الإنساني بالنظر إلى طبيعتها وبنقل مركز الثقل من إستراتيجية التخييل من جانب المؤلِّف إلى النص إلى جانب (النص/القارئ) وعندما يتوقف النُقَّاد لرصد العوامل المؤثرة في نظرية التلقي فإن (روبرت هولب) يُوجّزها في خمسة مؤثرات هي على التوالي:

-الشكلانية الروسية.

-البِّنوية (مدرسة براغ).

-ظواهرية رومان إنغرادن .

-هيرومنيوطيقا غادامير.

-سيولوجيا الأدب.

لم تنشأ نظرية التلقي من فراغ، وإنما استمدت أصولها النظرية من الفلسفة الظاهراتية، وأصبح المنظورالذاتي هوالمنطلق في التحديد الموضوعي، ولا سبيل إلى الإدراك والتصور الموضوعي خارج نطاق الذات المدركة، ولا وجود للظاهرة خارج الذات المدركة لها.

شكل المؤلف قطب نقطة تقاطع مجموعة من الدراسات والمقاربات ذات المنحى السياقي "النفسي والاجتماعي والتاريخي"، حتى ترسّخ في الأذهان ما يمكن تسميته بـ: "سلطة المؤلف".ففي بعض الأحيان لم يكن المتلقي في النظريات القديمة أكثرمن متأثر بالنص الأدبي وهو لا يحق له إلاّ الاستئناس إلى الخطاب دون أن يمارس موقفا ما، ثم انبثق مفهوم التأويل من جملة التطورات التي حصلت في التيارات الفكرية والنقدية مسايراً تطوراتها المعرفية باعتباره جهدا عقليا يحاول الوقوف على النصوص في انفتاحها اللانهائي لاستكشاف الدلالة التي ترتبط بمفهوم القراءة، ومن ثم تصبح العلاقة بين القراءة والتأويل جدلية تقوم على التفاعل المتبادل بين النص والمؤثر فيه القارئ الذي يحدد آليات القراءة وإجراءاتها المنهجية.

ظهرت نظرية التلقي لتضع حدًا لسلطة المؤلّف التي ظلت مهيمنة لردح من الزمن لتضع حدا للدراسات الأدبية والنقدية والمناهج التاريخية والاجتماعية والثقافية والدراسات البيوغرافية (1)، وقد كان ظهور النظرية ثمرة جهد جماعي وصدًا للتطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية في ألمانيا الغربية سابقًا خلال الستينات المتأخرة، إنها نظرية تشير أهم مصطلحاتها إلى الألمان، في حين كنا نجد في نفس الفترة وجود نظرية نقد استجابة القارئ في أمريكا والتي كانت تشير أيضاً إلى دور القارئ و تتشابه معها في الخطط التي سارت عليها بالإضافة إلى معظم ما توصلوا إليه. لتصبح بعد ذلك بمثابة منهج لإعادة النظر في القواعد القديمة، كما أنّها قُدِّمت أساسًا لدراسة الأدب الإعلامي والأدب الشعبي الذي جرى التقليد على استبعادهما، فضلا عمَّا ادعته لنفسها من قدرة على التعامل مع الأعمال الأدبية الحديثة.(2) هذه النظرية صدى لتطورات اجتماعية وفكرية وأدبية في ألمانيا الغربية خلال الستينات المتأخرة.

وتهتم هذه النظرية بالقارئ وبما يثير القارئ في النص بغض النظر عن النص وشخصية المؤلف، بل تركز تركيزاً كلياً بكل ما يثير القارئ , والدور الذي يؤديه في إتمام النص، اكتشاف أو اقتفاء أثر

حقيقة معينة بالمعنى الذي كانت ترمي إليه البنيوية مثلا من أن النص يمتلك معنى ما، فالنص وتبعا لدريدا لا يمتلك إلاّ آثارا فهو متوالية لا نهائية من الاختلافات التي تنسجها العلامات الخطية، «فالاختلاف هو الطريقة أو الأسلوب الذي يتم فيه إطلاق طاقة النص على صنع المعنى»(3)

يقوم عمل التفكيك الدريدي على تحرير وتفجير طاقة الدال والعلامة الخطية بتخصيب مستمر للمدلول من خلال الانفتاح على النص كفضاء للمكن وليس كبنية مغلة تخضع لرغبة ما ينوي قوله كاتب النص، فالنص مع دريدا أصبح لا أصل له لأنه مجموعة نصوص متداخلة ومتقاطعة بخلاف نظرة الاتجاه البنيوي للنص كهيئة مغلقة أو ذو معنى تام، واقعة بذلك البنيوية في فخ الوصفية والتبسيطية معتمة ومهددة – حسب دريدا – بإسكات القوة، أي قوة الاختلاف تحت مطية الاحتفاظ بالشكل والبنية.أما العلامة الخطية ومن خلال اندراجها في مختلف السياقات النصية الكتابية تؤهل عمل الأثر المزدوج كإمحاء وبقاء مؤجل باستمرار إلى إقامة علاقات اختلاف داخل المكتوب كشبكة نصوص متداخلة، أي كتناص Intertextualité ينتج لعبة التيه واللعب بين العلامات الخطية في نشاط معمم للتطعيم Greffe والبعثرة والبذر Dessimination في نسيج النّص، (النّص الذي هو نسيج)(4) بتعبير بارت.

كان للشكليين بما قاموا به من توسيع مفهوم الشكل الذي يندرج فيه الجمال والجذب أن أسهموا بخلق طريقة جديدة للتغير ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية التلقي. وكان لاهتمامهم أيضاً بالأداة الفنية وما تحدثه من تغريب للتصورات في العمل الأدبي , وبما يشير هذا التغريب إلى علاقة القارئ بالنص فكان له دور فعّال في النظرية .

كما كان للتطور الأدبي وتعاقب الأجيال من أجل إحلال الإبداعات المثيرة لدى المتلقي محل التقنيات القديمة دور في نظرية التلقي (5)

تتصل " نظرية جمالية التلقي " بالظاهراتية اتصالا وثيقا ، حيث إن أغلب المفاهيم التي جاءت بها هذه الفلسفة الذاتية عن طريق أعلامها " هوسرل " و" انغاردن " ، قد تحولت إلى أسس نظرية ومفاهيم إجرائية في كثير من الحقول المعرفية ، فما هي الظاهراتية ؟

" تعتبر الظاهراتية إحدى الأفكار الأساسية في فلسفة القرن العشرين . وما يجمع بين المفكرين الداعين لها هو لجوؤهم إلى المسعى الفكري نفسه أكثر مما تجمعهم وحدة المعتقد . والواقع أن

الظاهراتيين يرمون إلى معالجة المشكلات الفلسفية من خلال وصف كبريات أنواع التجارب الإنسانية الكبرى .والفكرة

الأساس التي تقوم عليها الظاهراتية(6) هي أن لكل تجربة من تجاربنا شكلا خاصا تقتضيه طبيعة الشيء الذي هي بصدد تناوله ، بحيث يكون في وسعي وأنا أحلل بنية تجربة معينة الوصول إلى خطاب قابل لأن يجيب عن التساؤلات المطروحة حول الشيء المذكور ..." (7)

فالأسس النظرية التي شكلت معرفة خلفية لجمالية التلقي على اختلافها وتباينها ، قد اهتمت بالظاهرة الأدبية في شموليتها، غير أن "جمالية التلقي"كنظرية في الأدب سوف تركز اهتمامها، أولا وأخيرا، على المتلقي اعتمادا على أهم خلاصات هذه الأصول والمصادر المعرفية. لقد أعادت جمالية التلقي النظر في كل هذه القراءات التنظيرية ، كما أعادت صياغتها وبناءها في تصور نظري جديد يبني أساسا على الحوار ، منتقدة في ذلك ما لا ينسجم ومنطلقاتها. نذكر من أهم هذه

المصادر، الأبحاث الشكلانية والبنيوية خاصة مع جماعة براك(8) وكذلك " الماركسية" بروافدها المتعددة، ثم السيميائيات مع كل من رولان بارث Roland barthes ، وأمبرطو إيكو Emberto Ecoدون نسيان الأبحاث الهيرمونطيقية مع كادامير Gadamer ، إذ كان للأخير " تأثير كبير، بتوجهه الهيرمونطيقي، على أعمال **ياوس** (Jaws) في المقام الأول " (9)، وكذا ما توصلت إليه الظاهراتية مع رومان إنكاردن من نتائج وخلاصات.

وحين يتشكل النص الأدبي ويفرض سلطته التداولية على جمهور المتلقين يمسي ذا قيمة اعتبارية تجعله تعاليا نصيا إلى هذا الحد أوذاك(10) بحسب درجة تلك القيمة سواء لدى القارئ السيميائي، أو لدى القارئ العادي . وهذا ما يخول له فرض سلطته على النصوص اللاحقة كي تتناص معه بشكل مباشر أو غير مباشر، وبصورة واعية أوغيرواعية. فكيف نقاربه ونؤول دلالاته؟ وكيف نصل إلى بؤرته التي يحيط بها عدد هائل من التعابيراللغوية المواربة ؟ وما السبل التي يمكن نهجها لتأويل دلالاته؟

إن هذه الأسئلة وغيرها هي التي تحاول الهيرمونطيقا ونظريات التلقي طرحها لامتلاك النص، وجعله في حوزة المتلقي. فبعد تاريخ طويل من الاحتفال بالكاتب والكتابة حسم رولان بارت الموقف حين قتل المؤلف، وأزاح سلطته وتأثيره اللذين كانا يحولان دون حضور فاعلية القارئ

الفعلي، وفعل القراءة الفعلية . " فلكي تسترد الكتابة مستقبلها يجب قلب الأسطورة، فموت الكاتب هو الذي تتطلبه ولادة القراءة."

ذلك لأن المؤلف عندما يتوقف نهائيا عن الإجابة أي عندما يموت "(11) يصبح القارئ في مواجهة مباشرة مع النص؛ الشيء الذي يجعل فعل القراءة فعلا صعبا يتجاوز مستوى الشرح إلى مستوى التأويل، وكل قراءة بهذا المعنى تاويل ، وكل تأويل إنتاج إيديولوجي في نهاية المطاف،وكما يرى التفكيكيون فالقراءة الجديرة بالاعتبار هي إساءة فهم وخيانة خلاقة للنص، فالقارئ مدمر للنص المقرءء ما دام يبحث عن كينونته الي يحكمها قانون التنافر والاحتلاف ، فحيث ينعدم الاختلاف ينعدم المعنى(12)

أدت تجربة القراءة بنظرة فلسفية جديدة إلى توليد تأويلات ومقولات في أدب ميزته ’’ أنه يذكرنا بأن كل كتاب أدبي هو آلية تسعى إلى التلقي’’، لتكون بذلك نظرية التلقي تعلو سماء الدراسات المعاصرة، التي غالبا ما تكون إحدى نبوءاتها نابعة من فلسفات عميقة، كما هو الحال باستراتيجية التفكيكيين من النص و فعل القراءة والكتابة حين نبتت بعض فروعها من الفلسفة التأويلية مع (هايدجر) باعتقادها أن الأشياء توجد فقط داخل الوعي أو عند الوعي بها. ومن تشكيكية (**نيتشه**) عن لا وجودية الحقيقة، فعدل (جاك دريدا) ذلك معربا عن تشكيكه في وجودية النص، معتبرا هذا الأخير غير محدود بهوامش داخل القالب التركيبي للكتاب، من نقطة البداية إلى نقطة النهاية، فتألق دريدا حين اجتاح النص وفتحه إلى اللاحدود. أي اجتياح حدود النص من الداخل نحو الخارج، ومن الخارج نحو الداخل. فلا تفسير لمضمون دون الخضوع لثوابت خارج عالم النص تدخله إطاره المرجعي، حتما بإغفال النظر للخدمات الخارجية كما سبق في أذهان التقليديين.

إن عملية إعادة ترهين النصوص تسعى إلى دراسة العلاقات الجدلية بين الإنتاج الفني والتلقي. وبما أن هذه التلقيات تهدف إلى إعادة خلق الماضي بواسطة التلقي الجديد، فإنها تزيح الستار عن المؤلفات المنسية، لكي تعثر على أشياء غير مدركة من قبل المؤلفات الماضية. وبهذه الطريقة يتم اللقاء بين أفق المؤلفات الماضية وأفق المتلقي الحاضر، حيث يفضي انصهار هذين الأفقين إلى تذويب المسافة بينهما، وإلى بناء فعل تواصلي بين الإنتاج القديم والتلقي الراهن. الشيء الذي يحملنا على الاعتقاد بأنه لا يتشكل أفق حاضر بمعزل عن الأفق الماضي التاريخي، ولا يتجسد العمل

القديم دون أفق حاضر. ومن البديهي أن تقترح الأفعال الإنجازية المتسلسلة أجوبة عن الأسئلة المطروحة في الأعمال القديمة. غير أن هذه البنيات الإنجازية قد لا ترضي القراء المتعاقبين، فيهرعون إلى البحث عن أجوبة أخرى تبرز مظاهر دلالية مختلفة للإجراءات الدلالية السابقة. لكن يبقى أن هذه الأعمال القديمة لا يمكن أن تبوح بشيء للمتعاقبين، إلا إذا كانت مفتوحة وحاضرة رغم مرور الزمن، وتسمح بتغيير أسئلتها وأجوبتها الضمنية بطريقة دائمة ومستمرة.

هكذا يتبين أن جدلية الإنتاج والتلقي تستهدف إنتاج مؤلفات جديدة، إما بإدراكها بطرق مختلفة، وإما بإعادة فعل كتابتها، لكن ما يمكن تسجيله –في تقدير ياوس- هوأن هذا التجديد لا يكتسي خاصية جمالية فقط، وإنما يكتسي خاصية تاريخية كذلك(13) من حيث إن الإدراك أو التلقي الأول والمعاصر للعمل الأدبي –الذي يتضمن حكماً ذا قيمة جمالية- يمكن أن يتطور ويغتني من جيل إلى آخر ليشكل سلسلة متعاقبة من التلقيات، كفيلة بإقرار أهمية العمل ومكانته التاريخية (سر الاستمرارية والخلود).

في سياق رحلة البحث عن كيفية حدوث الفهم , والقبض علي المعني , ظهرت الفينومينولوجيا بوصفها منهج فلسفي(14) ونظرية في المعرفة, علي يد الألماني(ادموند هوسرل 1859م 1938م)، حيث يؤكد في فلسفته ان"الأشياء لاتوجد كأشياء في ذاتها , بكيفية خارجية وقبلية، وفي استقلالية مطلقة بالنسبة إلينا , بل إنها تظهر دائما كأشياء يفترضها أو يقصدها الوعي ... إذ لايمكن ان يوجد موضوع دون الذات التي تفكر به أو تقصده ... ومن هنا تعرب أفعال الوعي عن طابعها القصدي ، وعن كونها أفعالا تتوجه دائما نحو لشئ معين، ولايمكن تصورها مجرد أفعال(فارغة) لاموضوع لها هذا يعني ان (قصدية الإدراك) أو عينونته لايمكن فصلها عن الموضوع المقصود" (15)

إن إبحار القارئ في عالم النص فتح فعل القراءة على مصراعيه مما جعل القبض على بنيته الاستبطانية لمقصدية الكاتب أمرا صعبا في ظل تحول النص إلى كتلة مبهمة ، وتقنية التأويل هي التي تحاول ملامسة المعني الجوهري والخفي للنص، وهكذا تتغذى نظرية التأويل بالظاهراتية القائلة بأن الإدراك يتم عن طريق تفاعل الذات بالموضوع (القراءة مثلا) وتجاوز معادلة الفصل بين الذات

والموضوع التي رسختها المناهج العلمية وعليه فالتأويل محكوم بعملية استطلاع الحقيقة السرية أو المعنى المختفي وراء الإشارات والتعبيرات المختلفة. وحينما نتحدث عن تأويل النص الأدبي فإننا نفترض أن معناه من الاتساع والعمق أو التعدد بحيث لا تكفي في إدراكه القراءة الواحدة أو حتى القراءات المتعددة إذ من الممكن أن يتخذ القارئ أو القراء دور اللاعب في مقابلة لا تنتهي بحيث يظلون منغمسين في الشبكة الداخلية للنص ومعلقين فهمه أو تحديد معناه ومرجعيته إلى ما لانهاية، لكن إحلال القدرة التأويلية للقارئ في القدرة التعبيرية للنص هو الذي يمكّن من تحقيقه ضمن العا لم الذي تحدده اللغة ويربطه بالعا لم المتحرك وبالناس الذين هو منهم، وذلك عن طريق إيجاد الوصلات الخطابية والقيام بعملية المقاربة والفهم أي بالتأويل ، يرى غادمير أنَّ للنص ليس معنى جامد ولا يرتبط فهمه يقيناً بمعرفة تاريخ ولادة النص وظروفه، وإنما يرتبط بالنص نفسه، وبأفكار المفسر وأفقه الشخصي(16) حيث يحاول الوصول إلى أفق المعنى المتبلور في النص فنحن نواجه النص نفسه لا مؤلفه، وليس من المهم للمفسر أن يعرف ماذا يريد المؤلف إلقاءه من خلال النص، فلا أهمية للتعرف على ذهنية المؤلف وعالمه الداخلي وقصده، حيث يحاول الوصول إلى أفق المعنى المتبلور في النص؛ لأن للنص معنى أوسع من قصد المؤلف، ويمكن أن تكون له تفسيرات أخرى ليست مقصودة له، ويمكن أن تظهر له تفسيرات متجددة على ضوء الأحكام والمعلومات المسبقة المتجددة.

ففعل التأويل عملية معقدة تقوم على آليات وطرق شتى، ومن هنا كانت نظرية التلقي وجمالياتها قد سحبت السلطة من المؤلف وجعلتها في عصمة القارئ والمتلقي الذي عمل على الغوص في رحم النص وخباياه المظلمة من خلال فتح آفاق جديدة لهذا الإبداع عن طريق القراءة، فالهرمنوطيقا هي نظرية التأويل التي تبحث عن المعنى والحاجة إلى تفسيره ، فقد ولدت مع النص الديني، ثم ظهرت في العصر الحديث كمنهج فلسفي معرفي على يد كل **من شيللر ماخر، هيدجر، جادا مر** أدخل **شيللر ماخر** الهرمنيوطيقا إلى مرحلة جديدة تجاوزت الحالة التقليدية المختصة بالكتاب المقدس، وذلك بخلق فاعلية جديدة للهرمنيوطيقا تجعلها حاضرة في كل النصوص، وأُعتبر هذا إيذاناً لمرحلة أصبحت الهرمنيوطيقا فيها علماً له خصوصيته الساعية إلى توفير فهمٍ صحيح لكل قول مهما كان نوعه، وبالتالي «يعود إليه الفضل في أنه نقل المصطلح من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون علماً أو فنًّا لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص. وهكذا تباعد شلاير ماخر بالتأويلية بشكل نهائي

عن أن تكون في خدمة علم خاص، ووصل بها إلى أن تكون علماً بذاتها يؤسس عملية الفهم، وبالتالي عملية التفسير(17)

أما الكيفية التي يقترحها شلاير ماخر للفهم فتعتمد على تحليل الحالة الإبداعية التي ترتبط بالحياة الداخلية والخارجية للمبدع، ما يجعل من الضروري لفهم الإبداع استصحاب كلا الحالتين في عملية الفهم. وهو اعتراف واضح بالذات المبدعة وعدم إهمالها، وهو في الواقع اعتراف بالقصد المستبطن في النص، ومن هنا يكتسب النص تصوراً جديداً عند شلاير ماخر يصبح فيه تجلياً لحياة المبدع. (وإذا كان الأمر كذلك فإن من المهم في الممارسة الهرمنيوطيقية ليس تفسير المقاطع النصية فحسب، بل وإدراك النص في أصله أو منبعه، وفي بزوغه من الحياة الفردية لمؤلفه)(18) وتتجاوز وظيفة الهرمنيوطيقي حينها تفسير النص لتصل إلى اكتشاف التجربة الحياتية للمبدع؛ لأن النص ليس مجرد وصفٍ (تصويرٍ) يستمد وجوده من الخارج فحسب، وإنما أيضاً مفعماً بحياة الآخر عندما يعكس التجربة الداخلية للمبدع، وتكون اللغة وقتها وسيطاً لنقل تلك التجربة. ومن هذا البعد نتعرف على الحالة الرومانسية التي وصفت بها هرمنيوطيقا شلاير ماخر؛ لأنها تؤكّد دورالمبدع على حساب الواقع، وتعدّ النص تعبيراً لعالمه الداخلي أو موازياً له، كما هو معروف في مدارس الأدب الرومانسي.

كيف ندّعي إدراك أوالقبض على دلالة أمرما يمارس سلطته في الأخذ والإفتتان على وعينا؟ كيف نفهم ظاهرة هي في الواقع حالة تتجاوز تناهينا البشري؟ وانتظام الفهم في أطرقبلية وأحكام مسبقة أليس هوبمجاوزة هذا التناهي قصد إدراك جوهر ما نبحث عنه؟ أليس هو ما تدّعيه العلوم الوضعية عندما تستبعد سيكولوجيا الفاعل المعرفي قصد حصرجوهر الشيء في العقل التصنيفي (معادلات، جداول، خرائط، نظريات، بديهيات .فالموضوعية الهرمنيوطيقية تتحقق كون التعبيرأوالشكل الخارجي للإبداع هو في واقعه موضوع لتلك التجربة الحية للمبدع. فالتعبير عن تلك التجربة الداخلية «ليس تدفقاً عشوائيًّا للمشاعر والانفعالات بالمعنى الرومانسي، ولكنه تحديد موضوعي Objectification لعناصر هذه التجربة –التي قد تكون مختلفة ومتباعدة– في شكل موحّد. هذا التحديد الموضوعي للتجربة هو ما يؤسس –عنده– موضوعية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويتباعد بها عن الذاتية التي يتهمها بها الوضعيون(19)

هذا النمط من التلاقي الوجداني بين الإنسان والأشياء -إن صحَّ التعبير- هو الذي يؤسس للفهم عند الإنسان بحيث يصبح الفهم حالة من حالات الكينونة، وبتعبير فلاسفة العصر الإسلامي: يعتبر الفهم اكتساب مرتبة وجودية جديدة، مما يعني تحوّلاً مستمراً وصيرورة دائمة في هذه الكينونة، (ولما كان العالم في تبدل مستمر كانت هذه الكينونة الإنسانية غير مستقرة على حال)(20)

إنَّ نظرية القراءة والتأويل والهرمينوطيقا الأدبية لا تقدّم آليات إجرائية، وأدوات قرائية جاهزة وقابلة للتطبيق بشكل آلي على المقروء، وإنّما تسند في ذلك إلى تجربة القارئ وثقافته وموهبته لتمنح لفعل القراءة التنوّع والاختلاف والخصوصية فكل نشاط قرائي يفرزمغامرة تأويلية جديدة، وهذه غاية ما تهدف إليه نظرية التأويل والقراءة شريطة أن تغاير القراءة المقروء وتأتي فيه بالجديد كاشفة ما لم يكشف من قبل

وإن كانت القراءة الشارحة تقوم على الكشف عن دلالة النص ومراد مؤلّفه مركّزة على المعنى الذي يمكن احتواؤه ، جاعلة بذلك النص أحادي المعنى والدلالة بإمكانيته الاحتواء والاختزال ، فإنّ القراءة المؤوّلة وهي تستقصي المفهوم وتلتقط المعنى ومقاصد المؤلف ، وتفاضل بين وجوه الدلالة تبحث عن المعنى الماورائي الضائع الثاوي خلف السطور، مما يجعل التركيز كل التركيز على القارئ الذي يقول كلّ ما يريد قوله، مما يسهم في توسيع النص.

خاتمة:

يعد القارئ محورا رئيسيا في المفاهيم الإجرائية و النظرية في اتجاهات نقد استجابة القارئ، واتجاهات ما بعد البنيوية : كالتفكيكية و التأويلية والسيميولوجية، و بطبيعة الحال لا تشكل الاتجاهات المختلفة التي تنطوي تحت باب نقد استجابة القارئ نقدا موحدا من الناحية المفهومية، بل تمثل مجموعة متباينة في المنطلقات و المناهج و الأدوات ، إلا أنها تكاد تجتمع في اعتراض الرأي القائل : إن المعنى كامن في النص الأدبي و تميل إلى الاعتقاد بأن القارئ هو الخالق الحقيقي للمعنى.

وإذا كانت نظرية التلقي قد ظهرت لتقدم اعتراضا على الفهم أوتقدم اعتراضا على التصورات البنيوية للأدب كما هي الحال بالنسبة لاتجاهات ما بعد البنيوية إلا أنها اختلفت عنها و عن النظريات التي اهتمت بالقراءة و القارئ كونها نظرية تعنى بالفهم لإدراجه في قراءة النص.فقد

شكلت ثورة في دراسة الادب حين أنصفت الركن المغيب(المتلقي)الذي ظل غائبا عن المناهج والنظريات السابقة التي ركزت على المبدع.

إن منظورالتلقي له مبرراته ومشروعيته، إنه إعادة القيمة للقارئ، وإعادة لأهمية السياق التاريخي والاجتماعي وكأنه نفي لتطرف الشكلانية وسرف البنيوية. إن جوهرمنظورالتلقي هوإعادة الصلة الحميمة والضرورية بين النص ومتلقيه وضمان قراءة فاعلة تفسح المجال للقارئ قصد التجول في مدائن النص وسراديبه

الهوامش والاحالات

(1) **البيوغرافيا** (كتابة السير) كلمة غير عربية، أصلها في الإنجليزية (Biography)، وهي دليل قراءة السير الذاتية مع حساب زمني للتعليم والخبرات والمعارف العلمية والعملية والمراكز التي تحققت لصاحب السيرة، غالبا الشخصيات والكتاب والمشاهير والإعلاميين والمخترعين يلجأون إلى الحساب الزمني المختزل في قراءة سيرهم الذاتية لأن مسيرتهم أشمل من السيرة العادية للشخص المقصود، قد تشتمل البيوغرافيا على قصة حياة مركزة، وقد تكون محطات مختلفة انتقل فيها صاحب السيرة وتبدلت فيها ظروفه وأفكاره وإنتاجه

(2) حفيظ إسماعيلي علوي: مدخل إلى نظرية التلقي، نقلا عن تيري إيغيلتون، مقدمة في النظرية الأدبية، ترجمة إبراهيم حاسم العلي، بغداد،(د ط)، (د ت) ، ص:80 ما بعدها.

(3) صبري حافظ، الشعر والتحدي وإشكالية المنهج، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 38، آذار، 1986، ص 79.

(4) ينظر: مفهومات في بنية النص، ترجمة: وائل بركات، دار المعهد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص 84-85.

(5) هولب ، روبرت, نظرية التلقي , ت : عز الدين إسماعيل (جدة ،النادي الأدبي ،ط 1, 1994، 73 _84.

(6) الظاهراتية أو الفينومينولوجيا هي مدرسة فلسفية تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتنا بها. غير أنها لا تدعي التوصل لحقيقة مطلقة مجردة سواء في الميتافيزيقا أو في العلم بل تراهن على فهم نمط حضور الإنسان في العالم. يمكن أن نرصد بداياتها مع هيغل كما يعتبر مؤسس هذه المدرسة إدموند هوسرل، تلاه في التأثير عليها عدد من الفلاسفة مثل : هايدغر وسارتر وموريس ميرلو بونتي وريكور. وتقوم هذه المدرسة الفلسفية على العلاقة الديالكتية بين الفكرة والواقع.

(7) فليب هونيمان ، إستيل كوليش ،نظرية التلقي(مقدمة نقدية)، ترجمة : حسن الطالب ، مجلة علامات العدد 17 ص 108

(8) مدرسة براغ École de Prague مدرسة متخصصة ب**اللسانيات** تنسب إلى عالم **اللغة** السويسري فردينان (فرديناند) دي سوسور Ferdinand de Saussure أسسها في براغ عام 1926 عدد من علماء **اللغة** أمثال فاتشيك Vatchek وبوهوميل ترنكا Bohumil Trnka اللذين حضرا اجتماعاتها التأسيسية. ثم انضم إليهما كل من نيقولاي تروبتسكوي

Nikolai Trubetskoyورومان ياكوبسون Roman akobson اللذان شاركا في أعمال ما عُرف آنذاك بحلقة براغ للسانيات، فكان الأول الفكر المهيمن عليها والثاني محركها الأساسي. وقد وضعا المفهومات الأساسية للتحليل الصوتي للغات الأوربية ونشرا جزءاً كبيراً من إنتاجهما في الأعداد التسعة الأولى من مجلة «أعمال حلقة براغ اللسانية» Travaux du Cercle Linguistique de Prague. كذلك شارك أندره مارتينهAndré Martinet وإميل بنفينستEmile Benveniste في أعمال هذه المدرسة .للاستزادة، ينظر: جورج مونان، علم **اللغة** في القرن العشرين 1972، ترجمه إلى **اللغة** العربية نجيب غزاوي، (مطبوعات وزارة التعليم العالي).

(9) الجيلالي الكدية وأحمد المامون : التقديم ، مجلة دراسات ، سيميائية أدبية لسانية ، العدد: 6 ،83 ص : 7

(10) ايمانويل فريس وبرنارموراليس: آفاق جديدة في نظرية الأدب ترجمة د. لطيف زيتوني. سلسلة عالم المعرفة ع ، 300 سنة 2004، ص 146

(11) المرجع نفسه ص 38.

(12) جماعة انترفون: التحليل السيميوطبقي للنصوص.، تر: محمد السرغيني، مجلة دراسات أدبية ولسانية/ ع 2 سنة 1986، ص 24

(13) H.R Jauss : Pour une esthétique de la réception op. cit p. 66.

(14) ادموند هوسرل , فكرة الفينومنيولوجيا , ترجمة فتحي انقزو, ط1 , بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007م ، ص56

(15) عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل ألي نظريات القراءة ,الطبعة الأولي، بيروت: الدارالعربية للعلوم ,2007م , ص92

(16) هرمنوتيك مدرن :210-220.

(17) أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 20.

(18) شرفي عبد الكريم: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ت 2007م، ص 26.

(19) أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مصدر سابق، ص 26

(20) إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند هيدغر ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، 2006م، ص77

المراجع

1-ايمانويل فريس وبرنارموراليس: آفاق جديدة في نظرية الأدب ترجمة د. لطيف زيتوني. سلسلة عالم المعرفة ع ، 300 سنة 2004

2-H.R Jauss : Pour une esthétique de la réception op. cit p. 66.

3-إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند هيدغر ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، 2006م.

4-أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل.

5-ادموند هوسرل, فكرة الفينومنيولوجيا , ترجمة فتحي انقزو, ط1 , بيروت: المنظمة العربية للترجمة , 2007م .
6- جماعة انترفون: التحليل السيميوطبقي للنصوص، تر: محمد السرغيني، مجلة دراسات أدبية ولسانية/ ع 2 سنة 1986.
7-جورج مونان، علم **اللغة** في القرن العشرين 1972، ترجمه إلى **اللغة** العربية نجيب غزاوي، (مطبوعات وزارة التعليم العالي).
8-الجيلالي الكدية وأحمد المامون: التقديم، مجلة دراسات، سيميائية أدبية لسانية، العدد: 6، 83
9-حفيظ إسماعيلي علوي: مدخل إلى نظرية التلقي، نقلا عن تيري إيغيلتون، مقدمة في النظرية الأدبية، ترجمة إبراهيم حاسم العلي، بغداد،(د ط)، (د ت)
10-شرفي عبد الكريم: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ت 2007م.
11-صبري حافظ، الشعر والتحدي وإشكالية المنهج، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 38، آذار، 1986،
12-عبد الكريم شرفي , من فلسفات التأويل ألي نظريات القراءة ,الطبعة الأولي , بيروت: الدارالعربية للعلوم ,2007م .
13-فليب هونيمان، إستيل كوليش، نظرية التلقي(مقدمة نقدية)، ترجمة : حسن الطالب ، مجلة علامات العدد 17 .
14-هولب، روبرت, نظرية التلقي, ت : عز الدين إسماعيل (جدة ،النادي الأدبي ،ط 1, 1994.
15-وائل بركات، دار المعهد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.